أنتما وجهان لعملة واحدة

كلهم لم يضعوا رأى خميسة فى حسابهم.. فقد امتشقت سيف الكرامة وأبت العودة إلى السيد النحال بإباء وشمم، وطالبت بحريتها والحصول على طلاقها المستحق من رجل لطخ شرفها بالأوحال..

عرف أنها تقيم عند صديقتها المهندسة سوسن عبد الباقى ومنحه حشمت تليفون مضيفتها، فسارع على الفور فى ترطيب الجو بملاطفة لم تنطل عليها .

وكان همه القائم هو أن يضع أشرف بركات فى جيبه ويحقق مطلبه بإعادة زوجته ليمنحه مكسبًا يصبو إليه عند مكتب الرئيس.. وقد أجهضت خميسة له هذه المناورة دون أن تدرى.. فقرر أن يعيد المحاولة دون يأس، وأسرع إلى أمير كسبًا للوقت ليضمه تحت جناحه، فقد وضعهما أشرف بركات فى خانة واحدة..

وفى مكتبه الأنيق شاهد صورة جمال عبد الناصر معلقة فوق رأسه داخل إطار كبير مذهب، تعجب من قوم يضعون رجلًا واحدًا فوق رءوسهم خوفًا ورهبة.. ثم تعجب أن يصل أمير إلى هذه الأبهة فى وقت قصير، ثم تذكر ما قاله له عن معارفه من ذوى الشأن العالى الذين أخرجوا والدهما من سجن أمن الدولة..

أكله الشعور بالحسد، ومع هذا فقد تمكن من وضع ابتسامة براقة على فمه:

ـ «لم أنتبه لما قلته لى وأنت طالب عن قربك من أهل النفوذ.. لقد عثرت على سلمك مبكرًا»

رمقه أمير باستخفاف: «سلمى من صنعى يا سيد.. هل تظننى مثلك؟»

ـ «ماذا تقصد؟»

ـ «أقصد أننى لم أبحث مثلك عن عكازين أمضى بها.. حكمت وبشاير»

ـ «لم يحدث أن توكأت على سيدتين..»

ـ «كيف ذلك، وأنت تدير لهما عقارات ومشاريع؟!»

ـ «هذه العقارات والمشاريع ملكى أنا..»

ـ «يبدو أنك كنت تتحدث عن نفسك عندما اتهمتنى بالزواج من شمطاء لأكسب أموالها..»

ـ «وفر على نفسك جهد الحدس والافتراض، قلت لك إنها ممتلكاتى أنا»

ـ «إذن، فهو الحظ..»

ـ «هذا الشيء لا أعرفه»

ـ «كيف لا تعرفه، وأنت الوحيد من أبناء عباس النحال الذى سجلته فى أشعارك:

ابكى يا أم الخير ولادك واللى نيل حظهم

اجتهد عباس يجيبهم قبل ما يجيب أكلهم

والعيال أكلوا فى بعض لما جوعهم عضهم

أوقفه السيد بإشارة من يده أن يكف عن استعادة شعره القديم.

فسأله أمير:

ـ «ألا تريدنى أن أذكرك بأشعارك؟»

ـ «لا تذكرنى بأىّ شيء.. أىّ شيء من البلد.. وأيام البلد»

صمت أمير قليلًا، ثم قال: «وأنا مثلك، وعندى أسبابى، فهل أسبابك تتعلق بخميسة؟»

ـ «قلت لك: كل شيء.. كل شيء حتى خميسة»

ـ «إذن، فلماذا تسعى لإعادتها؟»

ـ «حتى أذبحها بطريقتى»

ـ «ظننتك تفعل ذلك بعد أن صرفت النظر عن فوزية»

ـ «دعك من هذا اللؤم.. أنت تبحث عن مصير فوزية وموقعها فيما بينى وبينك»

ابتسم أمير باستهتار:

ـ «فوزية ومثيلاتها لا يلقن بى يا محترم.. خلاص..»

وراح يحدثه عن عالمه الجديد الملىء بالسيدات والآنسات ، حتى إنه لم يحتفظ لنفسه بأسرار عالم العربدة الذى يجوسه بمهارة، ثم تنهد بحسرة:

ـ «لكنى لم أقابلها ولو بالصدفة.. ويبدو أن ذلك سوف يحدث»

ـ «من؟»

ـ «نجلاء النجار»

ـ «أما زلت تتذكرها»

ـ «أخوها نجيب وخطيبها محمد ناجى يعملان فى فرعنا بالإسكندرية»

ـ «إنه يقترب منك»

ـ «وأنا فى انتظاره.. وانتظارها.. فحقدى ما زال طازجًا» «أليست تلك وصيتك لى؟»

ـ «ياه.. أما زلت تتذكر هذه الكلمات ؟ لم تنس بعد الجاكت الذى انتزعه منك»

ـ «مكانتى سوف تعيننى على استرداد كرامتى»

ـ «تقصد نفوذك..»

ـ «سمها ما شئت»

ـ «أيهما أقوى.. النفوذ.. أم المال؟»

ـ «النفوذ»

ـ «إذن، فهنيئًا لك.. جئتك بترسانة من النفوذ»

ثم اتجه السيد النحال إلى الحديث الذى جاء من أجله.. الحديث عن آل بركات.. القوم الذين يتجهون إلى عالم النفوذ بقوة.. وتحدث بإسهاب عن داهيتهم أشرف بركات، وفى لحظة ما أحس السيد من أمير أن آل بركات وصلوا إليه، وأنه ساعدهم بمعلومات ضده.

«إنه نذل.. نال عشرين جنيهًا من فتيان فتيان حتى يدله على مكانى.. فتيان لم يتورع عن فضحه ثم فضحنا معًا..»

ومع ذلك، فقد استمر السيد فى إغراء أمير أن يتجها معًا إلى عالم السياسة.. فمن شواطئها سيبحران إلى النفوذ؟.. ثم عاد فركز على العون القادم إليهما من أشرف بركات..

وهنا قال له أمير:

ـ «أنت تصف لى آدميًّا يشبه تمامًا أنور السادات»

ـ «قلت ذلك لشقيقه حشمت، فراوغنى»

ـ «إن كان هو، فاعلم أنك ترى الدهاء يتحرك على قدمين»

ـ «قال عنى إننى ولدت لأكون سياسيًّا»

ـ «أنتما وجهان لعملة واحدة؟»

ـ «يريدك بجانبى»

ـ «السياسة ليست من أحلامى.. خذها لك»

ـ «ستكون مدخلك لكل ما تحلم به.. اجعلها قاطرة لعرباتك..»

ـ «تاريخى ملىء بسقطات ساذجة لا تليق بمن يعمل فى السياسة.. لقد عرفت طريقى.. فلتمض أنت فى طريقك»

* * *

سحب أشرف بركات نفسًا عميقًا من غليونه، وتأمل ضيفه العزيز بحب:

ـ «صرت رومانسى الهيئة يا حلمى.. هل هو الرجيم.. أم إرهاق الحب؟»

وبهدوء رد حلمى عبد الباقى الذىَ استجاب لدعوة مفاجئة من صديقه، فزاره فى قصره:

ـ «لا هذا، ولا ذاك.. إنه إرهاق الهم»

ـ «كلاهما واحد.. الحب.. والهم .. ما أخبار بهيرة؟»

ـ «لا ترحمنى، حتى بعد أن حصلت على طلاقها رغم أنفى»

ـ «الشؤم طرق بابك.. يجب أن تغير عتبة منزلك»

ـ «كيف؟»

ـ «اتفقت لك مع سامى شرف أن يلحقك بالعمل الدبلوماسى وتسافر إلى إحدى سفاراتنا بالخارج.. وهنا ستعود بهيرة إليك»

ـ «ما هذه المفاجأة؟.. هل كنتما تبحثان عن منصب لرجل.. أم تبحثان لرجل عن منصب؟»

ـ «وما الفرق؟»

ـ «فرق كبير، فقد أكون قد تحولت إلى مشكلة تريدون التخلص منها»

ـ «وهل الترقى إلى أعلى نوع من التخلص؟»

ـ «السياسة تسمح بذلك؟»

ـ «ليس إلى هذه الدرجة»

ـ «وهل السفر سيغرى بهيرة بالتصالح؟»

ـ «أنا واثق أنها ستوافق؟»

ـ «لا لوم عليك.. فأنت لا تعرفها»

ـ «اعذرها، فالولد النحال أقحمها فى المشكلة بوقاحة وحقد عجيبين»

ـ «لا أدرى ولد كهذا كيف يتمكن من رفع قامته حتى مستوى السيد: حشمت، والسيد: فايز فودة، ويخترق مجتمعًا هو بالكاد يعمل خادمًا عند أناسه»

ـ «لا تنس أن المشكلة التى بينكما أنت وهذا الولد هى وزوجته، فهل يكون قد اخترقك؟..»

ـ « ولا أدرى أيضًا كيف يجتمعان هو وزوجته.. تحت سقف واحد: الخير والشر؟.»

ـ «إذن، فرأيك فى زوجته يختلف عن رأيك فيه»

ـ «بمراحل..»

زم أشرف بركات شفتيه كأنه قبض على حقيقة غائبة:

ـ «ما أخبارها؟»

ـ «من؟»

ـ «زوجة هذا الولد.. خميسة؟.. أليس اسمها كذلك؟»

ـ «أتابع أخبارها عن بعد»

ـ «كيف..؟»

ـ «اختفت فى بدء المشكلة عند شقيق زوجها، اسمه أمير.. كانت سوسن تتابعها، أوصيتها أن تقف بجانبها إذا حيق بها أىّ خطر.. كان سيفتش عنها عند أخيه، بادلتنى

المكان عند سوسن وغادرت أنا إلى مكان آخر..»

ـ «أخشى أن تكون قد تورطت فى الحب أيها الكهل الجميل»

ـ «لا أدرى، ولكنى كثيرًا ما أصل إلى قناعة أن هناك شيئًا ما أقوى من الحب، شيئًا حاولت تسميته وهو ينمو من التعارف إلى التآلف ثم ينتهى إلى التكاتف، ولكن أقل ما يمكن وصفه لحالتنا هو أن كلًّا منا توحد مع الآخر فى مأساته ، ومن ناحيتى فلدى شعور عميق أننى تسببت لها فى الألم والتعاسة»

ـ «ما كل هذا النبل يا حلمى.. ما زال الأديب يعيش فى داخلك منذ أن كنت تكتب قصص الحب، العلوم العسكرية والكتب القانونية لم يجرفاك بعيدًا..»

وعندما صمت فجأة أحس حلمى عبد الباقى أن أشرف بركات سيتجه الآن إلى هدفه من هذه الدعوة لزيارته، وهذا ما حدث:

ـ «ما رأيك أن نذهب سويًّا إلى سامى لنشكره على مجهوده نحوك»

ـ «وهل تعتبرنى قد وافقت على هذا العرض؟»

ـ «هذا عرض لا يمكن رفضه فى الحالتين إن كنت زوجًا أو مطلقًا.. وما المانع أن نزوره فى مكتبه للسلام والكلام.. أنتما لم تتقابلا منذ زمن، هكذا قال لى»

ولم يفهم حلمى عبد الباقى إلا بعد حين الهدف الموازى الذى يصبو أشرف بركات إلى الوصول إليه، وهو أن يسحبه بيد ويسحب السيد النحال باليد الأخرى، ويدخل بهما إلى مكتب سامى شرف فقد أكد لسامى أن القضية كلها فى قبضة يده، وأنه سيحضر الولد بنفسه لتوقيع إقرار ينسف كل ما جاء بخطابه ـ إلى عبد الناصر ـ من اتهامات لحلمى عبد الباقى..

ولذا، فقد رمى إليه حلمى بنظرة ذات مغزى:

ـ «أخشى أن يكون مشوارى هذا هو نفس المشوار الذى سيقطعه الولد النحال إلى سامى»

ـ «وما لوجهك قد تغير هكذا؟.. ما الضرر فى ذلك، امنحنى الفرصة للحل يا حلمى»

وصمت حلمى المهذب على مضض وهو يقول لنفسه:

ـ «لن تتخلى عن لؤمك وتآمرك أبدًا.. يا أشرف بركات»